

المقاربة الأنثروبولوجية للصحة والمرض

الأستاذ: كمال بوغديري

قسم العلوم الاجتماعية ، جامعة محمد خيضر بسكرة (الجزائر)

البريد الإلكتروني: ethnokam1@yahoo.fr

الملخص:

من الظواهر التي ارتبطت بالوجود الإنساني منذ فجر التاريخ ظاهريتي الصحة والمرض وقد جلبت اهتمام الأطباء منذ القدم في محاولة للحفاظ على الأولى والتصدي للثانية، أما في العصر الحديث فلم يعد الأمر يقتصر على هؤلاء بل امتد إلى علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا، بالنظر إلى ارتباط الظاهرتين بالعوامل والمتغيرات الاجتماعية والثقافية التي تساهم في اختلال الصحة وبالتالي الإصابة بالمرض ذلك أن حالة الإنسان الصحية هي في الواقع نتاج تفاعل البيئة الاجتماعية والثقافية والطبيعية إذ أن تدني الحالة الصحية للكثير من الأفراد، وانتشار الأمراض يعد نتاجا لأسلوب الحياة والعديد من المتغيرات الاجتماعية والثقافية.

الكلمات المفتاحية: الصحة؛ المرض؛ السوسيولوجيا؛ الأنثروبولوجيا؛ السحر؛ المعتقدات؛ الثقافة الصحية؛ الممارسات العلاجية.

Résumé:

Les phénomènes associés à l'existence humaine depuis l'Antiquité, les phénomènes de santé et de maladie ont attiré l'attention des médecins, dans une tentative de préserver le premier et d'adresser le second, mais dans l'ère moderne ne se limite plus à eux étendue aux sociologues et l'anthropologue compte tenu de la corrélation entre les phénomènes des facteurs sociaux et les variables L'état de santé de l'être humain est en fait le résultat de l'interaction de l'environnement social, culturel et naturel. Le faible état de santé de nombreuses personnes et la propagation de maladies sont le résultat du mode de vie et beaucoup de variables sociales et culturelles.

Mot clé : Santé; Maladie; Sociologie; Anthropologie; Magie; Croyances; Culture sanitaire.

مقدمة

شكلت ظاهرتي الصحة والمرض محور اهتمام علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا باعتبارهما العلمان اللذان يهتمان بدراسة الأبعاد الثقافية والرمزية في الحضارات الإنسانية فالظاهرتان باتا تشكلا جانبا مهما في النسق الاجتماعي والثقافي للمجتمع وقد يسهم كل منهما في تقديم نموذج مصغر عن جغرافية الرمز داخل الجماعات الإنسانية، كما يعبر المرض من جهة أخرى عن البعد الديني للجماعة، ويكشف عن معتقداتها السحرية، ويمنح الرأس مال الاجتماعي والسلطة والهيمنة لمن يقدر على العلاج، ويعيد ترتيب مواقعها ويوزع، الدور فيها ويسهم في تحديد مجالات جديدة للمقدس داخل الجسد وفي المجال وبين الأشياء التي يستعملها الأفراد.

إن المتصفح للتراث السوسيو أنثروبولوجي يجد داخل أعمال مؤسسيها حضوراً متميزاً للظاهرة الصحية من خلال دراسة المعتقدات والتمثلات والسلوكات والاستراتيجيات الصحية ذات الطبيعة العلاجية أو الوقائية وعن طريق دراسة الجسد وطرق إدراكه وآليات استعماله خاصة داخل المجتمعات البدائية. ولعل هذا ما يمكن أن نلمسه بشكل واضح داخل أبحاث مارسيل موس حول "الجسد والدين والسحر" وأعمال "مالينوفسكي" malinowski وليفى برويل Lévy-Bruhl إذ يعتبران المرض علامة مميزة على البعد البدائي لعقلية بعض الجماعات، التي لم تستطع بعد دخول سلم الإنسانية. بالإضافة إلى إيفانز بريتشارد Evans-Pritchard الذي اهتم بمكانة المعالج وأشكال العلاج داخل المجتمع البدائي، إلى جانب سيجورست sigeriste الذي اهتم بخصائص الطب البدائي وأنواع المعالجات داخل الحضارات الإنسانية، هذا دون نسيان مارسيل موس Mauss، الذي تأثرت المدرسة الأنثروبولوجية بأبحاثه حول "الجسد والموت والسحر" بأمريكا اللاتينية.

المفاهيم النظرية للصحة والمرض:

مفهوم الصحة:

Le هناك اتفاق بين المعاجم و الموسوعات على تعريف الصحة، إذ يعرفها معجم لاروس الكبير (1996) *grand Larousse Universel* " بأنها حالة فرد ما تقوم عضويته بوظائفها بشكل عادي".

أما المعجم الموسوعي Hachette (2001). يعرف الصحة بأنها: " حالة أي كائن حي وبشكل خاص الكائن البشري، تكون وظائف أعضائه في حالة انسجام و انتظام إنها حالة فسيولوجية جيدة".

ساهمت المؤسسات والمنظمات العالمية المعنية بظاهرة الصحة في تقديم مفاهيم لها وتأتي منظمة الصحة العالمية O.M.S في مقدمة تلك المنظمات، حيث عرفت الصحة بأنها: "حالة الاكتمال الجسمي والعقلي والاجتماعي، وهي لا تعني مجرد الخلو من المرض أو العاهة". ظل هذا التعريف مستعملاً كمرجع لأكثر من

خمسین سنة لتضیف المنظمة سنة 2000 فكرة أن الصحة هي مجمل الموارد الاجتماعية والشخصية التي تمكن الفرد من تحقيق طموحاته و إشباع حاجياته، وهذا تكون الصحة ليست الخلو من المرض فحسب بل اكتمال قواه البدنية والنفسية والاجتماعية معا¹.

مفاهيم المرض:

في اللغة العربية يتخذ المرض مفاهيم متعددة فقد ورد في "المصباح المنير للمقري" كلمة مرض بمعنى تعب، والمرض حالة خارجة عن الطبع ضارة بالفعل. والمرض كل ما خرج به الإنسان عن الصحة من علة أو تقصير في أمر، ويخرج المقري في مفهومه للمرض بمفهوم شمولي يتجاوز المرض العضوي إلى المرض السلوكي². يعتبر المرض من المفاهيم الأكثر شيوعا واستخداما في الحياة اليومية والأكثر تناولا في أدبيات العلوم الإنسانية، خاصة في علم الاجتماع والنفس والأنثروبولوجيا ولهذا تعددت المفاهيم بحسب الجانب الذي يركز عليه كل دراسة أو علم.

1- المفهوم البيولوجي للمرض:

للمرض معاني بيولوجية عديدة منها "أنه فقدان للإحساس بالتوازن الجسمي والعقلي العادي" وذلك على حد تعبير "باتريك" Patrick و "سكامبلر" Scambler كما نظر إليه "أوبري" Aubrey على أنه حالة تكيف الجسم مع الظروف الداخلية والخارجية القاسية وغير العادية. عرفه "سنو" Snow بأنه يحدث من قصور عضو أو أكثر من أعضاء الجسم عند القيام بوظيفته خير قيام أو أكثر من أعضاء الجسم في أداء وظائفها³.

ومما يذكر أن وجهة النظر الطبية - قديما- كانت ترد كل الأمراض إلى الأسباب الفسيولوجية وكان مبحث أسباب المرض في كليهما يرد كل الأمراض إلى هاتين الطائفتين من الأسباب. غير أن تلك النظرة أصبحت مرفوضة بصفة عامة من قبل علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا المعاصرين نظرا لإهمالها الجانب الاجتماعي حيث نجد أن "بارسونز" Parsons يرى مشكلة الصحة تمكن أساسا في اللزوميات الوظيفية للنسق الاجتماعي وأن المرض يعتبر خلافا وظيفيا في النسق، فغالبا ما يصبح عجز في القدرة على الأداء للأدوار الاجتماعية⁴.

1 Constitution de l'organisation mondiale de la santé, documents fondamentaux de l'O.M.S, Genève, 1980, p11.

2 عبد السلام بشير الدويبي، علم الاجتماع الطبي، دار الشروق للطباعة والنشر، ليبيا، 2006، ص، 53.

3 بيري و الدويبي، مقدمة في علم الاجتماع الطبي، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، بنغازي، ليبيا، 1989، ص، 55، 56.

4 نخبة من أعضاء هيئة التدريس، الأنثروبولوجيا مداخل وتطبيقات، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 2001، ص، 217.

استخدم مفهوم المرض بطرق مختلفة حيث أنه يشير في أضيق معانيه إلى افتراض طبي بأن هناك عمليات مرضية معينة متضمنة في مجموعة أعراض مرضية متزامنة لها أبعادها العلاجية الخاصة ويطبق مفهوم المرض بصفة أعم ليشير إلى الانحرافات الفيزيائية أو السلوكية التي تمثل مشكلات اجتماعية للأفراد أو المجتمع كله⁵.

2- المفهوم الثقافي للمرض:

يشير "أكركنشنت" *Ackerknecht* أن لكل ثقافة منظورها وتصورها الخاص بها "للمرض"، بل وذهب إلى أبعد من ذلك فذكر أن المرض وعلاجه على الرغم من أنهما عمليتان بيولوجيتان من الناحية المجردة إلا أن بعض الحقائق المرتبطة بهما تعتمد على تحديدات المجتمعات والحقائق الاجتماعية أكثر من اعتمادها على الحقائق الموضوعية وبهذا المعنى نجد أن للمرض مفهوم ثقافي في المرتبة الأولى ويختلف من مجتمع لآخر ومن ثقافة لأخرى وهي الفكرة التي أكدها العديد من العلماء من أمثال *Foster* الذي ذهب إلى أن الصحة والمرض ظواهر ثقافية مثل ما هي ظواهر بيولوجية وأننا إذا أردنا دراسة الممارسات الطبية الموجودة في نطاق المجتمعات التقليدية لا بد أن ندرسها في إطار الثقافة⁶.

للمرض مفهوم نسبي ذلك لأنه يختلف من ثقافة لأخرى فلكل ثقافة تفسيراتها ومعتقداتها الخاصة بها

3- المفهوم الاجتماعي للمرض:

إن فهمنا للصحة والمرض لن يكتمل إلا بعد إدراجهما في السياق الاجتماعي والذي يعد بحق الإطار الأشمل الذي تندرج تحته الصحة والمرض فيضفي عليها الصبغة الاجتماعية. فإذا كانت مهمة الطبيب مثلاً - هي فهم كيفية وقوع المرض ومعالجتها وتعزيز الظروف المعيشية التي تقلل من خطرها على صحة السكان - فإن هذه المهام تصبح غير ذات فعالية ما لم نراعي أهمية العوامل الاجتماعية والنفسية للأفراد مثلما نراعي العوامل البيولوجية فالتشريح الاجتماعي للمرض المتعلق بالعوامل الاجتماعية المساعدة وسلسلة ردود الفعل الاجتماعي وانتشار الوعي وأسلوب تناول الاجتماعي - دراسة وتشخيصاً وعلاجاً - ذات أهمية في فهم العوامل المختلفة المساعدة على انتشار الأمراض إذ تساعد الظروف الاجتماعية السيئة كال فقر والبطالة والجهل وانخفاض مستوى المعيشة وسوء التغذية والتمزق الاجتماعي والتلوث وغيرها في الإصابة بالأمراض، ذلك أن بعض المشكلات الخطيرة التي قد يتعرض لها المجتمع تعرف بأنها أمراض، ومثال ذلك أن تسميات المرض تطلق أحياناً على بعض نماذج

5 محمد علي محمد، وآخرون، مرجع سبق ذكره، ص، 277.

الجماعات أو الأشخاص في المجتمع كالمضطربين دينيا أو سياسيا، وأن المرض في طب السلالات يفهم على انه نتيجة لممارسات اجتماعية معينة تدل على الانحراف وبالتالي هذا يؤثر على النظام الاجتماعي عند هذه القبائل ومن ثمة فهناك رد فعل من المجتمع نحو الشخص المريض انطلاقا من رؤية المرض على هذا النحو⁷.

إن افتقاد تعريف محدد وشامل لمفهوم المرض، يثير في بعض الأحيان نوعا من الغموض ومهما يكن من أمر الاختلافات بين الدارسين حول تعريف دقيق للمرض إلا أنهم حينما يستخدمون مفهوم المرض فإنهم يقصدون الإشارة إلى خصائص بنائية ووظيفية معينة يمكن تجزئتها كما يلي:

بيولوجيا: الاختلال في تركيب أو وظائف أعضاء وأجهزة الجسم، ظهور علامات وأعراض مرضية فحوص معملية ومخبرية إيجابية، اضطراب في الأداء الوظيفي واختلال في توازن الجسم مع الشعور بالوهن والتعب والألم.

اجتماعيا: الخروج عن المألوف أو العادي، الانحراف الغير مرغوب فيه العجز عن الاشتغال في المجتمع والعجز عن الوفاء بالالتزامات الاجتماعية المنوطة بالفرد.

نفسيا: الشعور بالمرض مثل المزاج السيئ والمعنويات المنخفضة والتعكر والضيق وعدم الارتياح التوتر والقلق والضجر والسعي لطلب المساعدة الطبية⁸.

بهذا يكون قد تم تعريف المرض بيولوجيا وثقافيا واجتماعيا ونفسيا فإذا نظرنا إلى المرض من خلال هذا المعنى متعدد الأبعاد المقترح للمفهوم، فإن التفسير المنطقي للعلاج هو أن نعمل على إعادة التكامل أو التوازن الذي أخل به المرض.

ولكي تنجح الأساليب العلاجية فإن هذه العملية يجب أن تأخذ بعين الاعتبار :

- التكامل الوظيفي الفسيولوجي لأعضاء الجسم.
- الشخصية وطبيعة مشكلات التكيف التي تواجه المريض في مختلف نواحي حياته.
- بأي خلل يصيب هذه الجوانب أو أحدها يتسبب في المرض، وإعادة التكيف أو التوازن مما يعني استعادة الفرد لحالته الصحية⁹.

7 نخبة من أعضاء هيئة، مرجع سبق ذكره، ص، 279 ، 280.

2 فوزية رمضان أيوب، علم الاجتماع الطبي، مكتبة النهضة الشرق، القاهرة، 1985، ص، 5.

3 نادية محمد السيد عمر، مرجع سبق ذكره، ص، 370.

9 فوزية رمضان أيوب، علم الاجتماع الطبي، مكتبة النهضة الشرق، القاهرة، 1985، ص، 15.

- مفهوم العوام:

- من الأهمية بمكان معرفة كيف يتصور العوام¹⁰ صحتهم، وماذا يعنون حينما يتكلمون الصحة الجيدة والسيئة، يجب أن لا يقتصر اهتمامنا على المعتقدات بل يجب أن يمتد إلى الممارسات الاجتماعية *Les pratiques Sociales*، أي مجمل الاتجاهات والسلوكيات التي نلاحظها بانتظام في النظام الاجتماعي كالممارسات الوقائية واللجوء إلى العلاج و التعامل مع المرض و العجز.
- يرى *Grand* أنه يمكن أن نستخرج توجيهين أو شكلين من أشكال العلاقة مع الصحة فمن جهة هناك "التقليديون" الذين يربطون فهمهم للصحة بالعمل على اعتبار أن الجسم عندهم هو وسيلة لكسب العيش والعمل، وهذا النمط من الصحة يمكن اعتباره صحة سلبية *La santé négative* (أي غياب المرض وسكون الأعضاء) وتنتشر مثل هذه الأفكار بشكل خاص لدى كبار السن وبعض الأصناف الاجتماعية كالفلّاحين والتجار والمهنيين الذين يتميزون على المستوى العلمي بضعف مجهودهم الوقائي واللجوء المتأخر للنظام العلاجي وكذلك التركيز على فكرة الصبر والتحمل¹⁰.
- من جهة ثانية نجد المساييرين للعصر *Les modernistes* وهم الذين يتناولون الصحة من منظور الذين يرون أن الجسم ليس أداة للعمل بل هو وسيلة أو أداة للذة و لذلك يحظى عندهم بكل الاهتمام، هذا النمط من الصحة يمكن اعتباره صحة إيجابية *La santé positive*. وتنتشر هذه الأفكار لدى الطبقات الاجتماعية الميسورة كالأطارات وأصحاب المستوى التعليمي العالي الذين يتميزون عادة على المستوى الممارسة باتجاهات إيجابية نحو الوقاية واللجوء المبكر للنظام الصحي العلاجي¹¹.
- يعرف المرض: "بأنه الحالة التي يحدث فيها خلل أو اضطراب إما في الناحية العضوية أو العقلية أو الاجتماعية للفرد، ومن شأنه إعاقة قدرة الفرد على مواجهة أقل الحاجات اللازمة لأداء وظيفة مناسبة، ومن هنا فان المرض تعبير عن قصور أو عجز في قدرات الإنسان المختلفة سواء الجسمية أو النفسية أو الاجتماعية"¹².

الثقافة وعلاقتها بالصحة والمرض:

¹⁰ نقصد بالعوام Les PROFANES غير المتخصصين في إحدى المجالات الطبية.

10 Grand A: La Sociologie de la Santé, in Pomey et al, santé publique, op, cit, P.180.

11 Francois Laplantine : Anthropologie de la maladie, édi, Payot, Paris, 1997. P.236.

¹² محمد علي مجّد، وآخرون، دراسات في علم الاجتماع الطبي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 2004، ص، ص، 249، 250.

أكدت الدراسات في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا أن للثقافة دور هام في تحديد الناس لدلالات الصحة والمرض وأساليب التعامل معهما وتدل الكثير من المرجعيات على أنه كلما كانت الثقافة بدائية ومتخلفة كلما كانت أساليب تشخيص المرض وتحديد أسبابه و طرق التعامل معه متخلفة، الأمر الذي ينتج عنه تدني المستوى الصحي لأفراد المجتمع فأساليب الوقاية مرتبطة بثقافة المجتمع من عادات وتقاليد وأعراف وقيم تنتقل من جيل لآخر وتؤثر في سلوك ومواقف واتجاهات الناس في التعامل مع الصحة والمرض، حيث يكون لها انعكاساتها على الوضع الصحي للفرد والجماعة، وتبرز من خلال الدراسات الأنثروبولوجية للثقافات المختلفة عملية تحديد أسباب المرض وطرق العلاج كمرجعيات للخبرة والتجربة الشعبية بدءا من التداوي بالنار إلى السحر والشعوذة إلى التداوي بالأعشاب وصولا إلى الطب الأكاديمي المتقدم¹³.

كما يشير "ريس" *Risse* أن الصحة والمرض مفهومان مرتبطان بموضوعات مثل القيم الثقافية والدينية والبناء الاجتماعي وخاصة في نطاق المجتمعات المحلية والتقليدية وقد ذهب "غلاسير" *Glaser* إلى أن لكل مجتمع من المجتمعات نظريته الخاصة به وهي نابعة من التصورات والأفكار الأساسية التي يكونها السكان عن الكون والعالم والحياة كما يؤكد الباحث أن اختلاف النظريات الطبية باختلاف الثقافات والحضارات الإنسانية إلا أن السمة الغالبة على الحضارات الشرقية خاصة الإسلامية والهندية هي ارتباط الممارسات العلاجية فيها بالدين¹⁴.

كما يرى "فoster" *Foster* أن الصحة و المرض ظواهر ثقافية مثل ما هي ظواهر بيولوجية وأنا إذا أردنا دراسة الممارسات العلاجية الموجودة نطاق المجتمعات التقليدية، لا بد أن ندرسها في إطار الثقافة كما أن الصحة وأساليب التعبير عن الألم لهما مفهوم نسبي يختلف من ثقافة لأخرى فهي التي تحدد للفرد تقييمه وتصوره لحالته المرضية وردود أفعاله وأساليب علاجه، أما "رالف لتون" فيذهب إلى أن المفهوم الثقافي للصحة والمرض مرتبط بالمجتمعات التقليدية، أما الأساليب الحديثة فهي تفسره تفسيراً علمياً حيث أن المجتمعات التقليدية تتعامل مع المرض كظاهرة إعجازية تعلو على المستوى الطبيعي ويرتبط العلاج بالسحر والممارسات السحرية الدينية، وفي

1 نغمة من أعضاء هيئة التدريس، الأنثروبولوجيا مداخل وتطبيقات، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 2001، ص، 217.

مرجع سبق ذكره، ص، 275.

2 محمد حسن غامري، مقدمة في الأنثروبولوجيا العامة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص، 147، 148.

3 محمد عباس إبراهيم، الأنثروبولوجيا، (مداخل وتطبيقات)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ص، 272، 276.

اختيار أنماط المعالجين حيث يثقون في إمكانيات الطبيب الشعبي و الساحر أكثر من قدرات الطبيب الأكاديمي وذلك لتمسكهم واعتقادهم بفعالية الممارسات العلاجية التقليدية يقول حسن غامري: "إن المعتقدات والممارسات الثقافية والاجتماعية تلعب دورا هاما في الجوانب الصحية والاتجاه نحو العلاج وفي تخطيط برامج الرعاية الصحية التي تقدم للجماعات، وأن أية معرفة عن المعايير الثقافية تعزز قدرة المعالجين على فهم مشكلات المريض من خلال موقعهم الثقافي والاجتماعي كما أن أنماط الثقافة لا بد وأن تتكامل مع الشبكة المعقدة التي تشمل على المعتقدات والقيم وتشكل جزء من ثقافة المجتمع"¹⁵.

في نفس السياق يرى "فرانس بواز" أن المرض مرتبط بالثقافة بحيث تؤثر على نظرة الجماعة وتصورها له على ضوء معتقداتها عن الكون والحياة وهي موجودة في بعض الحضارات التي ترتبط نظرة أفرادها للصحة والمرض بالدين والانطولوجيا (علم الوجود) لذلك يتفق الناس في ثقافة أو مجتمع معين حول نماذج من الأعراض والعلامات وكذلك مصدرها ومعناها وعلاجها فإن المرض يصبح أمرا شعبيا بهوية متكررة وانطلاقا من نفس التحليل يرى "لومباردي" أن الصحة والمرض لا يحملان نفس المعنى في كل المجتمعات لأن كل مجتمع يخلق مرضاه، ويضرب لنا مثلا من جنوب إيطاليا أين يعتبر كل شيء يهدد وجود الفرد مرضا¹⁶.

وهذا فالثقافة توفر إجابات جاهزة لكثير من مظاهر السلوك الصحي، والأساليب العلاجية والوقائية في التعامل مع المرض وحفظ الصحة، كما تؤثر بشكل إيجابي في نشر الوعي الصحي الوقائي والعلاجي في الأوساط الاجتماعية المختلفة. كما نجد أن كل ثقافة من الثقافات تزود أفرادها بنسق من المعرفة لاستعادة الاتساق بين الإنسان ورغباته في الشفاء ومن ثم تتباين الممارسات وتختلف من ثقافة لأخرى من أجل استعادة التوازن الفيزيقي والسيكولوجي للإنسان، حيث يرى "فريمان" *Freeman* أن إدراك المريض لمرضه يكون واحدا في نطاق المجتمعات التي تنتمي لنفس النمط الثقافي وذلك على العكس من المجتمعات المنتمية لأنماط ثقافية مختلفة، ويضرب لنا الباحث مثلا على ذلك من خلال دراسته للمستوطنين المكسيكيين في الولايات المتحدة الأمريكية حيث أكدت نتائج الدراسة أن للسكان مفهوما محددًا للمرض وهذا المفهوم مرتبط بنسيج ثقافتهم المحلية، كما أن المرض في نطاق هذه الثقافة يرتبط بمجموعة من المفاهيم الثقافية مثل السحر الأسود والحسد حيث أن هذه المفاهيم تعد من أسباب المرض لديهم ولهذا لا يؤمنون بدور الأطباء الرسميين الغير منتمين لثقافتهم الأصلية نظرا لعدم مقدرتهم على فهم واستيعاب هذه الظروف والعوامل الثقافية المحيطة بمفهومهم للمرض وأسبابه لذا يلجأ

16 عبد السلام بشير الدويبي، علم الاجتماع الطبي، دار الشروق للطباعة والنشر، طرابلس، ليبيا، 2006، ص 59، 60

هؤلاء السكان للمعالجين الشعبيين بسبب مقدرتهم لانتمائهم لنفس الثقافة الأصلية، وفي المقابل نجد الأمريكيين ينظرون إليها على أنها نوع من الخرافات وهكذا نرى أن كل محتوى ثقافي له إدراكه وتصوره الخاص به عن الصحة والمرض ويختلف عن محتويات ثقافة أخرى¹⁷.

يمكن إجمال علاقة الثقافة بالصحة والمرض في مجموعة من المعطيات منها:

- تشمل الثقافة مكونات سلوكية وعادات وتقاليد وقيم وأعراف ذات علاقة بالصحة والمرض تنتقل من جيل إلى جيل وتؤثر في سلوك ومواقف واتجاهات الناس حول الصحة والمرض.
- توفر الثقافة إجابات جاهزة لكثير من مظاهر السلوك الصحي والأساليب العلاجية والوقائية في التعامل مع المرض وحفظ الصحة.
- تملّي الثقافة طبيعة وكيفية مواجهة متطلبات علاج المرض وتحدد أساليب متعددة منها التخصص المهني والضمائي أو التأميني ذي الطبيعة الاجتماعية.
- تعتبر الثقافة إطارا عاما للعلاقات داخل مؤسسات الرعاية الصحية، فكلما كانت الثقافة متقدمة ومتطورة ساعدت على تقدم وتطور هذه المؤسسات.
- تلعب الثقافة دورا مهما في نشر الوعي الصحي الوقائي والعلاجي، وعلى سبيل المثال تمنع الثقافة في ليبيا النساء من التدخين لكونه مضر بالصحة دون شك، ولأنه أيضا ينظر إليه بأنه انحراف عن أخلاقيات المجتمع¹⁸.

من أنثروبولوجيا الطب إلى أنثروبولوجيا المرض

أكد الأنثروبولوجي الفرنسي مارك أوجي على الكيفية التي يمكن أن تعمل من خلالها الدراسة الأنثروبولوجية للمرض وذلك بتجديد الإشكاليات الأنثروبولوجية داخل المجتمع المعاصر. الأمر الذي يراه ممكناً نظراً لارتباط المرض بمجموعة من الخصائص الاجتماعية داخل كل المجتمعات الإنسانية ومن ثم فإننا لا يمكن أن نعثر على مجتمع لا يكشف فيه المرض عن أبعاد اجتماعية رغم كونه أكثر الوقائع خصوصية بالنسبة للأفراد، وهذا ما يعني الطابع المزدوج للمرض، أو بلغة أقل قوة الطابع المرن للمرض من حيث انتقاله السريع والسلس والدائم بين حقلين رمزيين اثنين؛ حقل الوجود الاجتماعي وما يرتبط به من رموز وطقوس وتأويلات وإكراهات، وحقل

¹⁷ نخبة من أعضاء هيئة التدريس، المدخل إلى الأنثروبولوجيا، مرجع سبق ذكره، ص، ص، 272، 273.

¹⁸ عبد السلام بشير الدويبي، مرجع سبق ذكره، ص، 60.

الوجود الفردي مع ما يعنيه ذلك من تفاعل وتجسيد وخضوع وتأويل للرموز والطقوس والمعتقدات والممنوعات والواجبات... إلخ.

تتجه الأنثروبولوجيا المعاصرة نحو بناء مقارنة جديدة للمرض، تقوم أساساً على دراسة الدور الذي يلعبه تأويل المرض والحزن داخل الحياة الاجتماعية وموقعه في الصراعات الاجتماعية التي تتلو الخلل البيولوجي Désordre biologique، من حيث ارتباطه بمواقع القوة والهيمنة والمشروعية والشرعية داخل النظام الاجتماعي الذي يظهر داخله.

تبدو أولى معالم المقاربة الأنثروبولوجية وموقعها داخل دائرة العلوم الإنسانية المعاصرة، حيث لم تعد تتخذ كوظيفة لها تصنيف الشعوب والثقافات البدائية والمقارنة بينها، كما أنها لم تبقى سجينة لتصور عتيق يعتبر أن "تحليل السلوك الاجتماعي في مختلف أشكاله المؤسساتية مثل الأسرة والأنساق القرابية والتنظيم السياسي وأنماط الفعل الشرعي والعبادات الدينية والعلاقات الموجودة بين مختلف هذه المؤسسات" [6] هو الغاية الأولى من وجود الأنثروبولوجيا. إذ الأمر يفترض إعادة تعريف للأنثروبولوجيا وموضوعها [8]، ويصبح ذلك ممكناً من خلال الاستعاضة عن المفاهيم التطورية مثل "المجتمع المتوحش، المجتمع البدائي، العقلية السحرية،... إلخ"، بأخرى جديدة مثل مفهوم الآخر autre أو الغيرية altérité، وإعادة تعريف مفاهيم أخرى مركزية داخل التحليل الأنثروبولوجي مثل الثقافة، الدين، الإيديولوجيا السلطة،... وهي كلها مفاهيم يستعملها الأنثروبولوجي لحظة دراسته للمرض.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى أدى اهتمام الأنثروبولوجيا بالظاهرة المرضية إلى إعادة الاعتبار لمفهوم التأويل الذي سبق أن استعمله مالينوفسكي B. Malinowski "ديناميات التطور الثقافي" حين اعتبر لحظة حديثه عن موقع الأنثروبولوجيا داخل المجتمع المعاصر أن "واجب الأنثروبولوجي هو التأويل الصحيح والمخلص للبدائي indigène" [9]، أي التأويل الذي يقدمه الأفراد للجسد والمؤسسات الاجتماعية التي تحتضنه، والرموز التي تقدمه، والطقوس التي تحميه، وأشكال الصراع أو التضامن التي ينتجها. أو التأويل الذي يحمله البدائي عن الظواهر الثقافية والاجتماعية عموماً، حتى يسهل على الأنثروبولوجي معرفة الحاجات الحقيقية لهذه المجتمعات. ومن العناصر الثقافية التي تدخل في تفسير أسباب المرض وتبرر للأفراد أساليب علاجهم يمكن إجمالها فيما يلي: المعتقدات الاجتماعية:

المعتقدات هي كل ما تركته وخلفته الموروثات الثقافية من أفكار وعادات ومعتقدات، استمرت مع استمرار المجتمع و التي شكلت نمط حياة الأفراد وذلك في صورة اعتناق تلك المعتقدات والحرص على ممارستها طقوسها¹⁹.

أكد العالم الأنثروبولوجي "كليفورد جيرتز" في تفسيره لمفهوم المعتقدات أنها جزء من الثقافة التقليدية وعليه فهي جزء من التراث الثقافي. وعلى الرغم من أن اهتمامه قد انصب على ما أطلق عليه الاعتقاد في الأرواح وكيف أن عالم الأرواح يعد من أكثر ما تحتويه المعتقدات، ففي دراسته لمجتمع "Java" باندونيسيا بين كيف أن الموروث الثقافي يلعب دورا هاما فيما يتعلق التراث الثقافي الخاص بالطب الشعبي من خلال اللجوء إلى المعالجين الروحانيين والمطبيين وذلك عند المرور بأزمة صحية بدنية أم نفسية ويلعب الاعتقاد في هؤلاء الأشخاص وممارساتهم دورا إيجابيا في عملية الاستجابة والشفاء، ويمكن الاستدلال على معنى المعتقدات من خلال التفسيرات التي أوردها "جيرتز" إن المعتقدات تعد من الأمور الفردية إذ تعتمد على الرؤية الذاتية للشخص فيما يدور حوله ويقوم من وجهة نظره الخاصة بتفسير تلك الأمور المرتبطة في عموميتها بحياته ونظرا لاعتماد المعتقدات على الرؤية الشخصية فلا يمكن إخضاعها للتفسير أو المشاهدة الجماعية²⁰.

تعد المعتقدات الشعبية من أهم ما تحتوي عليه الثقافة التقليدية، وعليه فقد نشأ الارتباط فيما بين الثقافة والمعتقدات من خلال ما خلفته الثقافة من إرث يحرص أعضاء المجتمع على تطبيق قواعده وطقوسه فتصبح تلك المعتقدات الشعبية في كثير من الأحيان أسلوبا أو طريقة في الحياة²¹.

يرتبط تفسير الصحة والمرض لدى كثير من المجتمعات بأسباب أو كائنات ميتافيزيقية أو ميثولوجية تملأ الخيال الشعبي بالخوف والرغبة منها، وهي مخلوقات مخيفة تجعل الناس يشعرون بأن صحتهم بل وحياتهم مستهدفة و هم غير مسؤولين عن ذلك.

"الجن" وهم كائنات خفية تعيش في محيط الإنسان، تعيش وتموت مثل الإنسان الذين قد يعزى لهم الألم أو المرض من ذلك (المرض العقلي والشلل والتشنجات ونوبات الصرع والآلام الروماتيزمية والجنون) كما تسبب أمراض أخرى (كالكوليرا والجذري وحتى الموت) ويقسمون إلى أصناف أربعة جن الأرض وجن الماء وجن النار وجن الريح، ولذلك عندما يسكن الشخص منزل جديد يجب أن يقدم حليب بالسكر وحناء في الغرفة الرئيسية للبيت في الليلة الأولى من السكن لطمأنتهم والعيش معهم بسلام، ويحدد "كريم نعموني" أربعة أنواع من المرض

¹⁹ نبيلة إبراهيم، الدراسات الشعبية بين النظرية و التطبيق، مكتبة القاهرة، 1967، ص، 124..

²⁰ نفس المرجع، ص، 125.

²¹ نبيلة إبراهيم، مرجع سبق ذكره، ص، 253.

أو الأذى يتسبب فيه الجن كأن يتعرض الشخص للضرب أي (مضروب) أو المس بمعنى أن يقيم أو يسكن الجن داخل جسم الإنسان المريض فيصبح (مسكون) أو أن يكون ملكا للجن فيصبح (مملوك) أو أن يلبسه أي يلازمه الجن دائما فيصبح (ملبوس)، وفي هذه الحالة لا يجب أخذ المريض للطبيب لأن الجن عنيف ويمكن له قتل الشخص المملوك²².

هناك اعتقاد في كائن خفي آخر يطلق عليه اسم "أم الصبيان"، أو "التابعة" وهي كائن يصيب المواليد الجدد بالمرض أو يقتلهم يقول إدموند دوتيه: "إن المعتقد الشعبي يقول أن نبي الله سليمان سألها من تكون فأجابت بأنها أم الصبيان تسيطر على أبناء آدم وحواء أدخل المنازل...أربط رحم النساء فأصيبهن بالعقم أفني الأطفال دون أن يعرفني أحد"، يرى الباحث أن لها عدة أسماء "الشهاقة"، "أم الليل" "الفرخة"، فالطقس كما يرى دوتيه يميل إلى شخصنة الشيطان أو الجن ذاته ليحمل فيما بعد كافة المصائب فالتابعة تتسبب في تعثر الحظ وكثرة المصائب والفشل المتكرر ويعتقد أنها من عمل السحرة والبعض الآخر ينسبها إلى الجن والتابعة تصيب المرء في صحته وممتلكاته وخصوبته وتحكم على الشباب بالعزوبة وتعثر الحظ وكثرة المصائب و الفشل المتكرر²³.

كما يعتقد الناس في "العين أو الحسد"، يقول القسطلاني: ((عندما ينظر المعيان بحسد إلى رجل أو شيء فإنه يلحق به ضررا وكان عينه تنزل على ما ترى مادة لا نراها كالسم الذي يخرج من فم الأفعى))²⁴. فالاعتقاد الشعبي في المغرب العربي يتوافق مع هذا الرأي إذ يسمى الشخص معيان والضحية المتعين، كما يعتقد البعض من الناس أن العين الضارة ليست كعضو وإنما تعبير عن رغبة داخلية سيئة كالغيرة والحسد تأثر في الشخص السوي أو الذي يدعى أمام الغير أنه بصحة جيدة والعين تصيب كما يرى "فان جينيب" كل من يمر بطقس من طقوس العبور أو المرور (ولادة - ختان - زواج) والناس يخشون العين بشدة وتتمظهر العين في حركة أو كلمة أو سلوك تجاه الآخر ولإزالة التهديد المتواصل للإصابة بالعين لذلك يهتم المجتمع بتجنب أو تهميش الشخص باعتباره مصدر ألم²⁵.

22 Renée Claisse Dauchy: Médecine traditionnelle du Maghreb,, édition l'harmattan paris ,1996. P,P 42.45.

23 Douité Edmond : Magie et religion en Afrique du Nord, édition , Maisonneuve et Geuthner, Paris, 1984.P.112.

24 Ibid: P.P.317. 318

25 Renée Claisse Dauchy: op, cit. P51-52.

يعتقد الناس كذلك في شيء فوق طبيعي وهو "المكتوب"، حيث يشير عادة في أذهان الناس إلى شيء لا يمكن التحكم فيه شيء يوجه حياتهم أو قوة لا يمكن الإفلات من قبضتها فالإنسان مهما بلغت درجة حذره لا يمكنه إلا أن يكون خاضعا قابلا صابرا على ما يصيبه لذلك يعتقد الغالبية من الناس أن المرض ظاهرة عادية لا مفر منها واستقباله باعتباره قضاء وقدر من الله، فالمرض جاء نتيجة ارتكاب الشخص لذنوب أو خرق محرمات، والفكرة التي ترى أن الله يعاقب المذنبين منتشرة بقوة لدى الناس ولذلك نجد أن المرض ناتج عن اختلال العلاقة بين الإنسان و الله، و في الحديث النبوي الشريف: "إذا أذنب المؤمن و لم يكن هناك وسيلة لتطهيره سلط الله عليه المعاناة والمصائب"²⁶.

كما يعتقد الناس فيما يسمى بـ "دعوة الشر"، وهي دعاء إلى الله قصد تسليط العقوبة على شخص ما، قد يكون مصدرها الوالدين أو أي شخص آخر فهي مصدر آخر للألم لذلك فهي مهابة جدا في المجتمع الجزائري ذلك أنها قد يستمر تأثيرها طول العمر وقد تلحق بالذرية، أي الأبناء والأحفاد، وقد تصيب المرء في صحته وغير ذلك، ومن الدعوات المعروفة (الله يعطيك لعمى، الله يجيبلك ضربة، الله لا تربحك...) ويلاحظ أن في كل تلك الدعوات يتم الاستعانة بالله لتنفيذ العقاب²⁷.

مما يعتقد الناس أنه سبب في آلامهم وأمراضهم "السحر"، يقول عنه "إيفانز بريتشارد": "هو الاستخدام المقصود للسحر الشرير لإلحاق الأضرار بالآخرين، وتتضمن هذه الممارسة استخدام مواد وطقوس و كلمات لتحقيق أهداف معينة"²⁸.

يرتكز السحرة عموما على مبدأ استعمال ما هو نجس أو مكروه ومخالفة المؤلف من السلوكات اليومية للناس، ويستعملون في طقوسهم عناصر حيوانية كالسيوم والصفدع والغراب والحرباء والأفعى وعناصر نباتية كنبات الدفلة والحناء والبخور والجاوي واللبان وغيرها إضافة إلى بعض المعادن والصخور كالكريت والشب والحجارة الزرقاء والكحل إضافة إلى العناصر البشرية كالقفن المعد للميت، الماء الذي يغسل به، تراب القبر، دم المقتول غدرا أو في حادث، الكسكسي المقتول بيد الميت ويهدف الساحر من وراء استخدام ما له علاقة بالموت إلى نقل صفات الميت إلى الشخص الحي بحيث تطفئ عليه صفات السكون والبرودة والتهميش فيصبح خاضعا مستكيناً وبذلك قد يكون للمرض عموما معنى ديني لذلك يلجأ الناس إلى التفسير بالقوى الإلهية وهي من المسلمات الدائمة لدى

26 سليمان بومدين، التصورات الاجتماعية للصحة و المرض (حالة مدينة سكيكدة)، دكتوراه في ع النفس العيادي، جامعة قسنطينة، 2003/2004، ص، 206.

27 نفس المرجع، ص، 196.

28 عبد الهادي الجوهري، قاموس علم الاجتماع، ط2، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1998، ص، 120.

عامة الناس، وقد يكون له معنى سحري ذلك أن المحيط الاجتماعي مليء بالأرواح والكائنات غير المرئية وكثيرا ما يفسر الألم أو المرض على أنه نتيجة الغيرة أو أهداف دنيئة دبرها الآخرون مثل العين أو السحر. وفي كلا الحالتين فالمرض ينجم عن عناصر خارجية²⁹.

إن كثيرا من معتقدات الشعوب تقوم على الإيمان بوجود "أرواح شريرة خفية" تملأ بوجودها العالم وأن لها قوى خارقة وتأثيرات غامضة على الحياة الاجتماعية، ولهذا فقد أبدعت لها تلك المجتمعات معتقدات دينية وطقوس قصد الاحتماء منها ودفع ضررها ومن الحالات المرضية التي قد تسببها الأرواح الشريرة الضعف العقلي والجنون والصرع والهوس والكآبة، وتستخدم تلك المجتمعات طرق للخلّاص منها عن طريق تسليط كل أشكال العقاب المادي على الجسد كالكي وغرز الإبر وقلع الأسنان وغلق الآذان وربط اللسان والبطن والضرب المبرح والمجهود الجسمي العنيف حتى يعرق الجسم عرقا شديدا، وحمل الطلاس والتمايم والحيوانات داخل جيوب ملابسهم اعتقادا منهم أن لكل ذلك قوى تأثيرية على الأرواح الشريرة التي تهدد صحتهم وحياتهم واستعمالها يريح الفرد والجماعة من تلك القوى الشريرة، وبهذا يمكن أن يكون للمرض لدى بعض المجتمعات معنى ديني، مما يفسر لجوء الناس إلى التفسير بالإرادة الإلهية وهي من المسلمات الدائمة لدى عامة الناس، وقد يكون له معنى سحري، ذلك أن المحيط الاجتماعي مليء بالأرواح والكائنات غير المرئية وكثيرا ما يفسر الألم أو المرض على أنه نتيجة الغيرة أو أهداف دنيئة دبرها الآخرون مثل العين أو السحر وفي كلا الحالتين فالمرض ينجم عن عناصر خارجية فعلية أو رمزية وربما هذا ما يؤيد النظرية الوظيفية "المالينوفسكي" التي ترى في سر استمرار هذا النوع من التفسيرات الاجتماعية هو قيامها بوظيفة تنفع الجماعة³⁰.

وعليه يمكن القول أن الأنماط التفسيرية للمرض قد نشأت من تلاحم المعتقدات الثقافية العامة والخصوصية أو الفردية.

الممارسات العلاجية:

يحتل مفهوم العلاج داخل التفكير الأنثروبولوجي في المرض مكانة مهمة، حيث أن فهم المرض كظاهرة رمزية واجتماعية، لا يقوم إلا على فهم استراتيجيات وآليات العلاج التي يختارها الأفراد والجماعات أو التي تفرض

29 موقع محمد أسليم، مقال: السحر و الخطاب في المغرب الراهن ، <http://aslimnet.free.fr/essays/ess4.htm> ، صفحة المقالات 2007/09/28.

30 رالف لنتون ، شجرة الحضارة ج3، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر ، 1990، ص ص 151، 153.

عليهم في تدبير وتشخيص هذا العجز أو الخلل. إن الأمر المهم في هذا الجانب، أي جانب تشخيص المرض وعلاجه، يتجسد في مفهوم النجاعة أو الفعالية *Efficacité* بما هي نجاعة طبية واجتماعية في نفس الوقت. يتجه فوستر *foster* إلى التمييز بين شكلين من الأنساق الطبية، تشخيصية *Personalistic* وطبيعية *Naturalistic*، فأما الأول فيظهر المرض داخلها كفعل محرر أو محدد لفاعل بشري أو غير إنساني "روح، جد، الله" أما الطبيعي فيعتبر أن المرض نتيجة لتأثير قوى أو عناصر طبيعية مثل البرودة، السخونة، الرطوبة، ويحتل داخله مفهوم التوازن بين الجواهر والأمزجة والقيم دوراً محدداً في التعريف بالصحة والتعرف على المرض. إن آليات تشخيص المرض وتقنياته تتدخل وبشكل أساسي داخل دورها في تحديد طبيعة العلاج الذي يجب أن يكون "فعالاً وإيجابياً، قادراً على دفع المعتدي وطرده الشرّ والمسؤول عن الشرّ إلى الخارج" فإذا كانت الثقافة بأبعادها المختلفة تركز التقليدية وتشجع الاحتكام إلى ممارسات الأوائل تماشياً مع المثل القائل: "اسأل المجرب ولا تسأل الطبيب"، هذا الطرح يعطي الأولوية إلى الشيخ المعالج "العشاب" "الطالب" و"الساحر" وكل المشتغلين في الحقل الطبي الشعبي حق معالجة المرض بالكي أو بكتابة الحجاب أو بإتباع نظام طبيعي أو ديني أو سحري يصفها المعالج، إنها الصور الأولى التي يستقيها الفرد من وسطه الاجتماعي، ابتداء من أسرته التي قد تكون المحفز الأول لشحن الفرد بالمعتقدات الشعبية للتعامل مع قضايا الصحة والمرض. هذا ما تعكسه الكثير من الدراسات والأبحاث التي تناولت الصحة في سياق التنظيم الاجتماعي السائد والقيم التي تبطنه والنسيج العلائقي الذي يحكمه. وهذا بطبيعة الحال لربط المعتقدات الاجتماعية عن الصحة والمرض ببناء العلاقات الاجتماعية في أي جماعة أو مجتمع محلي والمعتقدات السائدة في هذه المواجهات له ضوابطه. كل هذه العوامل تطرح وبصورة جدية النقاش الدائر حول الإنسان الحائر بين العلم والخرافة، إنها في الواقع ظاهرة غريبة متوارثة في العقول من قديم الزمان. ومن طبيعة الناس أنها تبلغ في تعظيم الخوارق وتؤكد صحتها بل تذهب إلى وصف معجزات الوسطاء الروحانيين إلى حد التقديس ومن أجل هذا لجأ الناس منذ القدم إلى "السحرة" و"الكهان" و"العرافين" و"الشيخوخ" وأحاطوهم بهالة كبيرة من الوقار والثقة والاعتزاز ووصفهم. بما قد لا يكون فيهم إنها المفارقة الغريبة التي يعيشها الإنسان في تعامله مع الصحة والمرض مفارقة التقليد في مقابل الحداثة³¹.

31عبد المحسن صالح، الإنسان الحائر بين العلم و الخرافة، سلسلة عالم المعرفة، العدد 235، 1998، ص، ص، 17، 25.

المراجع:

- 1) عبد السلام بشير الدويبي، علم الاجتماع الطبي، دار الشروق للطباعة والنشر، ليبيا، 2006.
- 2) بيري و الدويبي، مقدمة في علم الاجتماع الطبي، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، بنغازي، ليبيا، 1989.
- 3) نخبة من أعضاء هيئة التدريس، الأنثروبولوجيا مداخل وتطبيقات، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 2001.
- 4) محمد حسن غامري، مقدمة في الأنثروبولوجيا العامة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992.
- 5) نادية محمد السيد عمر، علم الاجتماع الطبي، (المفهوم والمجالات)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2004.
- 6) محمد علي محمد وآخرون، علم الاجتماع الطبي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 2004.
- 7) فوزية رمضان أيوب، علم الاجتماع الطبي، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، 1985.
- 8) محمد علي محمد، وآخرون، دراسات في علم الاجتماع الطبي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 2004.
- 9) محمد عباس إبراهيم، الأنثروبولوجيا، (مداخل وتطبيقات)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2006.
- 10) عبد السلام بشير الدويبي، علم الاجتماع الطبي، دار الشروق للطباعة والنشر، طرابلس، ليبيا، 2006.
- 11) نبيلة إبراهيم، الدراسات الشعبية بين النظرية و التطبيق، مكتبة القاهرة، 1967.
- 12) سليمان بومدين، التصورات الاجتماعية للصحة و المرض (حالة مدينة سكيكدة)، دكتوراه في ع النفس العيادي، جامعة قسنطينة، 2003/2004.
- 13) عبد الهادي الجوهري، قاموس علم الاجتماع، ط2، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1998.
- 14) موقع محمد أسليم، مقال: السحر و الخطاب في المغرب الراهن ، <http://aslimnet.ree.fr/essays/ess4.htm> ، صفحة المقالات 2007/09/28..
- 15) رالف لنتون ، شجرة الحضارة ج3، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر ، 1990،
- 16) عبد المحسن صالح، الإنسان الحائر بين العلم و الخرافة، سلسلة عالم المعرفة، العدد 235، 1998.
- 1) Constitution de l'organisation mondiale de la santé, documents fondamentaux de l'O.M.S, Genève, 1980.
- 2) Grand A: La Sociologie de la Santé, in Pomey et al, santé publique
- 3) Francois Laplantine : Anthropologie de la maladie, édi, Payot, Paris, 1997.
- 4) Renée Claisse Dauchy: Médecine traditionnelle du Maghreb,, édition l'harmattan paris 1996.
- 5) Douaté Edmond : Magie et religion en Afrique du Nord, édition , Maisonneuve et Geuthner, Paris, 1984.